

التنظيم الصناعي في الفكر الماركسي التقليدي

تقديم

يعد التنظيم الصناعي أحد أبرز المجالات التي تعكس التفاعل الجدلي بين البنية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الحديثة، إذ يشكل المصنع ومؤسسات الانتاج فضاء تتقاطع فيه العلاقات الانسانية والمادية على معقد، فمن خلاله يمكن فهم كيفية تشكل الأدوار الاجتماعية، توزيع السلطة، وبناء الهياكل التنظيمية التي توجه سلوك الأفراد في إطار العمل، غير أن هذا الفضاء الصناعي لم يكن محايداً، بل مثل ميداناً خصبا لظهور الصراع الطبقي بوصفه تعبير عن التناقض بين من يملك وسائل الانتاج ومن لا يملكها، وفق المنظور الماركسي الذي يرى في العمل مصدر القيمة، وفي علاقات الانتاج جوهر السيطرة والاستغلال.

وفي خضم هذه العلاقات اللامتكافئة: يظهر مفهوم التشيؤ باعتباره نتيجة مباشرة لتحول الانسان العامل إلى مجرد أداة داخل العملية الانتاجية، حيث تختزل قيمته في إنتاجيته لا في إنسانيته، فالتشيؤ يُعبر عن فقدان العامل لجوهره الانساني حين تغدو علاقته بعمله وبالأخرين مادية صرفة، تحكمها المنفعة والربح بدل التواصل الانساني والتقدير الذاتي.

أولاً: التنظيم الصناعي وأبعاده السوسيولوجية:

يستخدم في العلوم الاجتماعية للإشارة إلى بنية وأداء المؤسسة الاقتصادية وخاصة كيفية تنظيم الأنشطة الصناعية والانتاجية في السوق، والعلاقات القائمة بين الشركات؛ الدولة والعمال والمستهلكين. وفي علم الاجتماع يقصد به الإطار الذي تنتظم فيه العلاقات داخل المؤسسات الصناعية بما في ذلك:

- تقسيم العمل

-علاقات السلطة والتراتبية

-أنماط التفاعل بين العمال والادارة

- آليات الضبط الاجتماعي في المصنع

- الصراعات الطبقيّة والعمالية الناتجة عن أنماط الانتاج

1- تعريف التنظيم الصناعي:

هو مجموعة من الهياكل والعمليات التي تضبط سير العمل داخل المؤسسة الانتاجية، بدءاً من تقسيم العمل وتوزيع المهام وصولاً إلى آليات الرقابة والاشراف، كما يمثل فضاء للتفاعل الاجتماعي حيث تتحدد أنماط العلاقات بين العمال، الادارة والنقابات.

وقد تباينت المقاربات النظرية التي تناولت هذا المفهوم بين الطرح الاقتصادي الذي يركز على بنية السوق وسلوك المؤسسات، والطرح السوسيولوجي الذي يهتم بالبنية الاجتماعية والصراع داخل العملية الانتاجية وسيم التركيز على هذا الاتجاه.

2- عناصر التنظيم الصناعي:

تتجلى مكونات التنظيم الصناعي في مجموعة من العمليات والعلاقات التنظيمية وهي:

- تقسيم العمل: التخصص، المهارة، الوظائف
- علاقات السلطة: التسلسل الهرمي، القيادة والرقابة
- الصراع الصناعي: بين العمال وأرباب العمل، وبين النقابات والادارة.
- التنشئة الاجتماعية للعمل: بناء الهوية والانتماء عبر النشاط المهني

3: أهداف دراسة التنظيم الصناعي:

تحدد أهداف التنظيم الصناعي في مجموعة من النقاط تحدد كالتالي:

- فهم ديناميات الصراع الطبقي
- تحليل آليات السيطرة والضبط الاجتماعي في مواقع الانتاج
- تفسير العلاقة بين التنظيم الصناعي والتغير الاجتماعي

4: الأسس النظرية لفهم التنظيم الصناعي:

- لفهم ميكانيزمات العمل داخل التنظيم الصناعي يمكن إعتداد عدة مداخل منها:
- المدخل الماركسي: الذي يعتبر التنظيم الصناعي تجسيدا لعلاقات الانتاج: حيث نفرض آليات السيطرة لضمان إستغلال قوة العمل.
- المدخل النيو ماركسي:-نقدي- الذي يبرز كيف أن التنظيم الصناعي يعيد إنتاج التراتيب الاجتماعية عبر الانضباط وتقسيم العمل.

ثانيا: الصراع الطبقي:

يعد الصراع الطبقي من أهم المفاهيم المركزية في الماركسية إذ يمثل الاطار النظري لفهم التناقضات الاجتماعية الناشئة عن التوزيع غير العادل للثروة والسلطة.

1- تعريف الصراع الطبقي:

هو تباين بين من يملك وسائل الانتاج ومن لا يملك سوى قوة عمله، وفي السياق الصناعي يظهر حول الأجور، ساعات العمل، ظروف الانتاج والحقوق النقابية

2-أبعاد الصراع الطبقي: يأخذ الصراع الطبقي عدة أبعاد أهمها:

- البعد الاقتصادي:-

يظهر في مطالب العمال بتحسين الأجور وظروف العمل.

الصراع حول ملكية وسائل الانتاج وتوزيع الثروة

- البعد السياسي:

يتجلى في السيطرة على الدولة التي تعد أداة بيد الطبقة المهيمنة
التنظيمات النقابية شكل من أشكال الصراع السياسي

- البعد الأيديولوجي:

يتمثل في محاولات الطبقة المسيطرة فرض قيمها وثقافتها على المجتمع.
المقاومة الفكرية والثقافية من طرف الطبقات الخاضعة تعتبر شكل من الصراع الايديولوجي

3-الأسس النظرية للصراع الطبقي:

يقوم مفهوم الصراع على فكرة وجود جماعات إجتماعية ذات مصالح متعارضة بحكم موقعها في البنية
الاجتماعية والاقتصادية

- الطبقة الاجتماعية: فئة من الأفراد تتحدد مكانتها إنطلاقا من علاقتها بوسائل الانتاج

- المصلحة الطبقيّة: تعبر عن المطالب الاقتصادية والاجتماعية المشتركة لأعضاء الطبقة الواحدة

- الوعي الطبقي: إنتقال الطبقة من مجرد موقع إقتصادي إلى فاعل تاريخي مدرك لمصالحه

-الصراع الطبقي: حتمية تاريخية تنبع من طبيعة النظام الاقتصادي القائم

ثالثا: جدلية التنظيم الصناعي وصراع الطبقات:

التنظيم الصناعي يوفر إطارا رسميا للعمل لكنه يكرس التفاوت بين الادارة والعمال وتتجسد الصراعات

في:

- الاضرابات والاحتجاجات

- التفاوض الجماعي عبر النقابات

- أشكال المقاومة اليومية: التباطؤ، الغياب، رفض الانضباط...

في المقابل تلجأ الادارة إلى:

- إستراتيجيات الرقابة والانضباط

- إدماج العمال عبر الامتيازات

- إعادة تنظيم العمل وفق منطق الربحية

أمثلة وسياقات تاريخية:

الثورة الصناعية في أوروبا: بروز نقابات العمال كإستراتيجية لصراع طبقي داخل التنظيمات الصناعية
القرن العشرين: حركات عمالية واسعة في المصانع الكبرى فورد ،جنرال موتورز؛ حيث كان التنظيم الصناعي
مسرحا لمواجهات كبرى بين العمال والرأسماليين

ثالثا: التشيؤ في العمل:

يعد التشيؤ من المفاهيم الأساسية في الفكر الماركسي وعلم اجتماع التنظيم ، إذ يشير إلى العملية التي يتم فيها تحويل العلاقات الانسانية إلى علاقات بين أشياء في سياق العمل، ويصبح التشيؤ أكثر وضوحاً عندما يتحول العمل من فعل إنساني مبدع إلى سلعة تباع وتسترى في سوق العمل، حيث يختزل الإنسان إلى مجرد قوة عمل دون النظر إلى أعاده الاجتماعية والنفسية.

1- كارل ماركس والتشيؤ: في كتابه رأس المال يتناول ماركس التشيؤ بوصفه الاغتراب الذي يصيب العامل في المجتمع الرأسمالي؛ ويشير ماركس أن العمل ليس مجرد وظيفة إقتصادية بل هو عملية إنسانية تتيح للإنسان أن يحقق ذاته. وفي ظل النظام الرأسمالي يتعرض العمل للتشيؤ حين يتحول إلى سلعة في السوق، ويصبح العامل مجرد مكون من مكونات العملية الإنتاجية التي لا يملك التحكم فيها ويغترب عن نتاج عمله لا، ه لا يملكه ولا يرى قيمة فيه إلا من خلال الثمن المادي الذي يتم دفعه له 1

2- لوكاتش والتشيؤ: توسع جورج لوكاتش في مفهوم التشيؤ في سياق الوعي الطبقي في كتابه التاريخ والوعي الطبقي 1923 ووفقاً له ليس فقط العمل هو الذي يتعرض للتشيؤ بل حتى العلاقات الاجتماعية أصبحت تتحول إلى علاقات بين أشياء أو سلع مما يقود إلى تهميش الذات الإنسانية 2

كما أضاف يورغن هابرماس مفهوماً جديداً للتشيؤ في كتابه نظرية الفعل اللتواصل، حيث اعتبر التشيؤ يشمل الهيمنة التي يمارسها السوق في العالم المعيش، ويرى أن السوق والادارة يطغيان على الحياة اليومية للعامل فينتقل الإنسان من كائن اجتماعي تواصل إلى مجرد عنصر منتج داخل شبكة من العلاقات السوقية؟

3- التشيؤ في بيئة العمل الصناعية: في فترة الثورة الصناعية بدأ العمل يأخذ شكلاً جديداً يتمثل في تقسيم العمل وفقاً لمفاهيم التaylorية والفردية أين أصبح العامل في المصانع مجرد حلقة في سلسلة إنتاجية تدهورت العلاقة بين العامل ومنتج عمله حيث صار ينظر إلى العامل كآلة بشرية تؤدي مهمة محددة.

هذا النوع من العمل الصناعي يعزز التشيؤ من خلال تقسيم المهام، وتقليل حريات العامل وتغييبه عن عملية الإنتاج الكبرى، ماركس يعبر عن هذا التشيؤ بقوله: "العمال لا يملكون ما ينتجون وهم يسلمون عملهم إلى أصحاب رأس المال الذين يملكون وسائل الإنتاج 4

4- الآثار الاجتماعية والنفسية للتشيؤ في العمل:

يتسبب التشيؤ في مجموعة من الآثار النفسية والاجتماعية على العامل:

- الاغتراب: عندما يتم التعامل مع العمل كسلعة تغيب عنه العلاقة الإنسانية، مما يشعر العامل بأنه مستبعد عن العمل كممارسة إبداعية أو كعملية لها معنى 7

- تفكك الروابط الاجتماعية: يزداد التنافس بين العمال على حساب التعاون الجماعي، مما يؤدي إلى تآكل الروابط الاجتماعية داخل بيئة العمل.

- الضغط النفسي: يسود القلق الدائم بسبب الخوف من فقدان الوظيفة، حيث يشعر العامل دائماً بأن بديله جاهز في سوق العمل⁸

فالتشيؤ ليس مجرد سمة من العصور الماضية، بل هو ظاهرة قائمة ومازالت تنتج أشكالاً جديدة من الاغتراب مما يحتم البحث عن سبل الحفاظ على كرامة الانسان ككائن إجتماعي وإنساني.

في ضوء ماتم عرضه وتحليله يمكن القول أن العلاقة بين التنظيم الصناعي وعلمتي الصراع الطبقي والتشيؤ تعبر عن جدلية معقدة تشكل جوهر التحليل السوسيولوجي. فالتنظيمات الصناعي لا يعد مجرد نسق إقتصادي يهدف إلى رفع الانتاجية وتحقيق الكفاءة التقنية، بل هو منظومة إجتماعية وأيديولوجية تعيد تشكيل العلاقات بين الفاعلين داخل فضاء العمل، بحيث يصبح الانتاج مجالاً لإعادة إنتاج البنية الطبقية ذاتها.

إن الصراع الطبقي في هذا السياق ليس ظاهرة عرضية بل هو المحرك البنيوي الذي يكشف التناقضات الكامنة في النظام الصناعي، إذ يعكس المواجهة المستمرة بين الطبقات المالكة لوسائل الانتاج والطبقات العاملة الخاضعة لشروطه. أما التشيؤ فهو المظهر الانساني والاجتماعي لتلك التناقضات حيث يتحول العامل إلى موضوع ضمن عملية الانتاج ويفقد العامل بعده الانساني ليغدو سلعة تخضع لمنطق السوق

وعليه فإن التنظيم الصناعي يستلزم تحليل التفاعل الجدلي بين العقلنة التقنية والبنية الطبقية وآليات التشيؤ، إنطلاقاً من التفاعل بينهم بشكل الأساس النظري لتفسير ديناميات الهيمنة والاغتراب في المجتمعات الصناعية.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...